دور بعض أمهات الأئمة الفقهاء في تنشئة أبنائهن وتعليمهم

أسماء محمد أحمد زيادة
مدرس التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية دار العلوم بجامعة الفيوم

لأمرٍ ما ، ولحكمة لا ريب ، يُقدّرها الله عز وجل ؛ فلست أرى أن شيئاً في ملك الله يجرى صدفةً ، أو يتم عبثاً ، لأمر ما ولحكمة ما ، يكون العدد غير القليل من علْية علماء الأمة وأئمتها يتامى ، تكفُلهم أمهاتهم ، ويتولون أمورهم ، وحتى ربيعة بن عبد الرحمن ، ربيعة الرأي الذي لم يكن قد فقد أباه ، لم يكن قد رأى أباه إلا بعد ما كان قد بلغ السابعة والعشرين من عمره ، وبعدما قد صار إماماً في مجالس العلم[(i)].

إذا كانت الأمومة هي أهم وظيفة اجتماعية تقوم بها المرأة ، فإن الدّراسة على إقرارها بذلك تعرض لبعض هؤلاء الأمهات ، أمهات الأئمة ، علْية علماء الأمة بلا منازع: ، ربيعة الرأي (تَ: 136هـ) ، والإمام الأوزاعي (ت: 157هـ) ، وسفيان الثوري (ت: 161هـ) ، والإمام مالك (ت: 179هـ) ، والقاضي أبو يوسف (ت: 182هـ) ، الإمام الشافعي (ت: 204هـ) ، والإمام أحمد (ت: 241هـ) ، والإمام البخاري (ت: 256هـ) ، لا من قبيل كونهن الأمهات وحسب ، وإنما من قبيل أن عملهن الذي سنعرض له الآن هو عمل مباشر، وواجب مسئول قُمن به في الحياة العلمية والبلاغية والدَّعوية في هذه المرحلة التاريخية من تاريخ الأمة.

إن الاستعراض الشكليَّ للمصادر، والبحث عن الهيئات العُنوانية المعبّرة ، أو الدَّالة على مظَان التأريخ لهؤلاء الأمهات يكون محبطاً – لا جدال – بادي النَّظر والبحث ، ويكاد الباحث يرفع صَوته: أين أمهات كل عالم وإمامٍ وفقيه ، وزوجاتهم ، وبناتهم ، وأخواتهم؟

لم تذكرهن التراجم أصالةً ، ولا احتفت بهن المصادر إلا تبعاً ، وفى كلمات موجزات!.

إننا أمام حالة فراغٍ في ذاكرة الأمة ينبغي ، ويمكن أن تملأه الدّراسات الجادَّة ، ولو بعض امتلاء ، وهذا ما سوف نحاوله الآن بعض حوال ولعلنا أن نفعله.

لقد حصر أحد الباحثين[(ii)] علماء الأمة بين العامين (50: 150 هـ) من خلال مصدرين تاريخيين هما: المنتظم لابن الجوزي (ت 597 هـ) ، وسير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي (ت 748 هـ) فبلغ عدد العلماء –حسب دراسته– عند ابن الجوزي 348عالماً ، وعند الإمام الذهبي 602 عالماً[(iii)].

أين حجم التأريخ لأمهات هذا العدد من العلماء ، وزوجاتهم ، وأخواتهم ، وبناتهم في المصادر التاريخية؟! ، وكم من المصادر، والمراجع والدراسات توقف عند هذه الحالة التأريخية ليحللها ، أو يفسرها ، أويعود يبحث في سير كل هؤلاء العلماء ليفتش عن هؤلاء الأُمَّهات ، والزوجات ، والأخوات ، والبنات المختفيات حتى اللحظة ، والمغيَّبات عن ذاكرة الأُمَّة، في هذه المرحلة التاريخية في الشام ، والعراق وغيرهما من حواضر الإسلام؟!.

كانت هناك أمهات لهؤلاء العلماء بيقين ، وكان لهن دور كبير في دفع أبنائهن إلى مجالس العلم ، وملازمة كبار العلماء بيقين ، وليس ثم شك أنَّ كل عالمٍ ومفكر مدين لأُمه بغيرِ قليل من الفضل ، وأن كلَّ واحد منهم إنما هو ثمرة غرسها ؛ إذ إنه لابد أن يكون للمبنى من بانٍ.

والدراسة وهي تريد التَعرُّض لبعض نماذج لهؤلاء الأمهات إنما تتعرض لهن من قبيل عملهن العلمي والبلاغي ، لا من قبيل دورهن الأمومي الاجتماعي الطبيعي وحسب ، كما ذكرنا سلفاً ، ونبدأ التوقف عند بعضهن:

أم ربيعة الرأي ، ربيعة بن عبد الرحمن:

روي أن أبا عبد الرحمن (واسمه فروخ) والد ربيعة الرأي (ت: 136هـ)مولى المنكدر المدني[iv] ، خرج في في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً ، وربيعة حمل في بطن أمه ، وهف عند زوجه ، أُم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة ، وهو راكب فرساً، وفي يده رمح ، فنزل عن فرسه ، ثم فرسه ، ثم دفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة ، فقال له : يا عدوالله ، أتهجم على منزلي؟ فقال: لا ، وقال فروخ: يا عدوالله ، أنت دخلت على حرمتي ، فتواثبا ، وتلَبَ[v] كل واحد منهما بصاحبه ، حتى اجتمع الجيران ، الجيران ، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة[vi] ، فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول:والله لا فارقتك إلا عند عند السلطان ، وجعل فروخ يقول:والله لا فارقتك إلا بالسلطان ، وأنت مع امرأتي وكثر الضَّجيج.

فلما بصروا بمالك ، سكت الناس كلهم ، فقال: أيها الشيخ لك سعةٌ في غير هذه الدار. فقال الشيخ هي داري ، وأنا داري ، وأنا فروخ ، مولى بني فلان. فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت ، فقالت: هذا زوجي ، وهذا ابني الذي خلفه الذي خلفه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً ، وبكيا ، فدخل فروخ المنزل ، وقال: هذا ابني؟ قالت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي لي عندك ، وهذه معي أربعة آلاف دينار، فقالت: المال قد دفنته ، وأنا أُخرجه بعد أيام أيام ، ثم خرج ربيعة إلى المسجد ، وجلس في حلقته ، وأتاه مالك بن أنس ، والحسن بن زيد ، وأشراف أهل المدينة أهل المدينة ، وأحدق النَّاس به.

فقلت امرأته: اخرج ، صلّ في مسجد الرسول 2 ، فخرج ، فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها ، فوقف بها ، وفرَّجوا له قليلاً ، ونفس ربيعةُ رأسه ، وأوهمه أنَّه لم يره ، وعليه طرحة[vii] طويلة ، فقال فيه أبو عبد الرحمن ، فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا له: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن. فقال: أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني. ثم رجع إلى منزله ، فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها. فقلت أُمُّه: فأيَّما أحبُّ إليك ، ثلاثون ألف دينار أو هذا الجاه الذي هو فيه؟ فقال: لا والله إلا هذا. قلت " فإني أنفقت المال كله عليه. قال: فوالله ما ضيعته[viii].

لا يستطيعُ الباحثُ أن يبارح مكانه هاهنا ؛ ويتوقف أمام هذه المرأة التى تدير الأمور كلها بذكاء وحكمة، ووعي ، وحسن تأت ، ووضوح غاية ، وفهم أولويات ، وتقدير بليغ لقيم الأشياء ، والمعاني العاليات:

بهدوء تسوف فى إيضاح ما جرى للأموال التى كان استودعها إياه قبل سفره ، وتنتظر حتى تضعه فى الحالة التى يحسن فيها أن تشرح له ما جرى للأموال ؛ كي يدرك فى صورة عملية ، وبنفسه ، قيمة العلم فى مقابل الأموال : العلم ، وجاهه ، وجلاله ، وسلطانه ، وكرامته التى ترفع إليها أهلها رفعة ؛ تدفع السيدة الحكيمة أبا ربيعة ، وتحثه إلى الذهاب إلى المسجد لصلاة ؛ إنها تريد أن تجعله يرى ابنه ربيعة محوطاً بالعلماء ، والمشيخة ، كبيراً بالعلم ، ومكرَّماً به ، تريد أن تجعله بعد ذلك قادراً على فهم ، ما كانت فهمته هى ، وعقلته هى من زمن بعيد ، يوم كان ربيعة طفلاً لم يزل: المال ، أم العلم ، والفقه ، وإدراك الأفضل ، والأولى؟.

وكانت هى فى غيبة أبي عبد الرحمن من اجتهد الرأي، واتخذ القرار، وأنفذه: العلم أولى من المال ، والعلم أبقى من المال. ذهب أبو عبد الرحمن فرأي ابنه فيما رآه فيه ، وعاد يعلم فارق ما بين العلم ، والمال ؛ قد فقه أبو عبد الرحمن الفقه التي فقهته أُمُّ عبد الرحمن من سبع وعشرين سنة ، الفقه التي أنفذته ، وحققته: ممارسة ، وتعليماً ، وتهذيباً ، وإعداداً لواحد صار من علية وجلة علماء الأمة. استودعها مالاً يزول ، وسينفد يوماً لا محالة ، فاستثمرته له علماً ينتفع به إلى يوم القيامة.

إذا لم يكن التي فعلته هو الفقه ، بل هو عين الفقه ، فبماذا يمكن أن نسميه؟ !

أليس يراد من مصنفات المصنفين ، وكتب التراجم ، والفكر الإسلامي ، بل يجب عليها أن تعيد النظر فى القوائم التى القوائم التى أوردوها عن بعض المحدثات والفقيهات ، وليس فى طليعتهن أُمُّ ربيعة الرأي؟ لقد تجاوزت رحمها الله

رحمهاالله فضلها معنى أن تكون فى التَّصنيف ضمن قوائم الفقيهات إلى معنى تحقيق حقيقة التصنيفات والمصنَّفات.

والمصنَّفات.

تُرى هل سأل أبو عبد الرحمن أُمَّ عبد الرحمن عن المال بعدَ هذا التي رأى؟ ! ، لن يكون مستطيعاً إلا أن يقول لها مقولته" فوالله ما ضيَّعتيه". رحمهاالله.

أم الإمام الأوزاعي:

ولد الأوزاعي(ت: 157هـ)[ix] ببعلبك ، ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه ، وكلت تنتقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أورع ، ولا أعلم أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعيَّن على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه ، عنه ، من حسنها. يقول ابن أحد أقرانه: ما رأيت أبي يتعجب من شيء تعجُّبه من الأوزاعي ، فكان يقول: سبحانك سبحانك تفعل ما تشاء ، كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر امرأة تنقله من بلد إلى بلد ، وقد جرى حكمك فيه بأن فيه بأن بلغ ما بلغ ، ثم يقول: يا بني عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه في نفسه [x].

إن تعجُّبَ أبى أحد أقرانه من حال الأوزاعي وأدبه لا يقابل إلا تعجبي منه ، وقد علم أنه كان فى حجر امرأة امرأة تتنقل به من بلد إلى بلد ، ثم هو من بعد ذلك يعزو فضل الأوزاعيَّ وأدبه أي أدب الأوزاعي رحمه‌الله فى الله فى نفسه !.

لقد بدا واضحاً ، على ما يظهر لى ، أن تنقُّل أمه به بين البلاد كان حالةً رصدها المجتمع ، وتحدَّث بها. هذا ، هذا ، وإن صنيع هذه المرأة ، وصبرها على التنقل بابنها من بلد إلى بلد طلباً للعلم ، كان مقصوداً منها تنويع تنويع البيئة العلمية لابنها ، فمن لطبيعي أن تكون قد لاحظت نباهته منذ نعومة أظفاره ، فأرادت حسن توظيف توظيف ذلك في دينه وعلمه. وقد كان ، فأصبح الأوزاعي علماً من أعلام الأمة إلى يومنا هذا.

أم الإمام مالك:

الإمام مالك(ت: 179هـ) [xi] هو أبو عبدالله ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأَصبحيُّ الحميريُّ ، أُمُّه العالية أُمُّه العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأَزديَّة ، وأزد من أشهر قبائل العرب القحطانية ، فهي وزوجها وزوجها أنس من عرب اليمن [xii].

يبلغ العلم وقدره عند الإمام مالك ، أن يضي به طلبه إلى أن يبيع خشب سقف داره ، كما قال ابن القاسم (ت: (ت: 191هـ) [xiii]: فمضى بمالك طلب العلم إلى أن قضى سقف بيته ، فباع خشبه ، ثم مات عليه الدنيا بعد. ورؤي بعد. ورؤي مثل هذا عن ربيعة[xiv].

كان الإمام مالك يقول: نشأت وأنا غلام حدثٌ ، أتبع المغنين ، وآخذ عنهم ، فقلت لي أمي: يا بني ، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ؛ فدع الغناء ، واطلب الفقه ؛ فإنَّه لا يضرُّ معه قبح الوجه ، ، فتركت المغنين ، واتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بي عز وجل ما ترى[xv]. ولم تكن بالإمام مالك دمامةٌ ، لكنها أرادت لكنها أرادت صرفه للعلم.

ولقد بدا أن كلماتها قد فعلت فعلها ، وآتت أُكُلها ؛ قال مالك: قلت لأمي: أَذْهب فأكتب العلم فقالت: تعال ، فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمَّرة[xvi] ، ووضعت العمامة على رأسي ، ثم قالت: اذهب ، فاكتب الآن[xvii].

لقد كانت عبئاً على أم الإمام مالك في نفسي معتبة ، هي لا شك من إحساس الأمومة بمكان ؛ حيث تحدث ابنها ابنها عن قبحٍ مزعومٍ فيه ودمامة ، وشعرت بقسوة ذلك ، خاصة وأنَّ الأمر ليس صحيحٌ ، غير أنني وجدتني وجدتني أُهيئ من فعلها حين أفلح تخطيطها ، وقرَّر الذهاب ليكتب العلم ؛ إنها تنقله ، وتضعه في حال جديدة من جديدة من الأُهبة والتجلة للعلم ، ومقامه ، كأنما تريد أن تخلي عنه ، وتنزع كلَّ حال قديمة من هزل الغناء ، الغناء ، ومقتضياته ، تلبسه ثياباً مشمرة ، وعمامة ، وتطلق عليها ثياب العلم...ولقد كانت على ما أرى واثقة من واثقة من نجح أمرها ؛ إذ كانت الملابس معدَّة ، وجاهزة في اللحظة التي قرر فيها قراره.

ولا يقف فعلها عند هذا ؛ بل تبده السيدة الجليلة الفكر ، حين نجدها واعية ، وفاهمة ، ومدركة لأقدار العلماء العلماء الذين تدفع بابنها إليهم ؛ يقول الإمام مالك ، R: كانت أُمي تعممني ، وتقول ليَّ: اذهب إلى ربيعة ، ، فتعلم من أدبه قبل علمه[xviii] . لكأنها كانت ممَّن يغشى مجلس ربيعة ، وتعلم من علمه وأدبه ما يجعلها تقول تقول هذه المقولة.

أم الإمام الشافعي:

كان يونس بن عبد الأعلى (ت: 264هـ)[xix] يقول: لا أعلم هاشمياً ولدته هاشمية إلا علي بن أبي طالب ، ثم ثم الشافعي (ت: 204هـ) [xx] ؛ فأُمُّ علي بن أبي طالب هي فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وجدة الشافعي الشفا بنت أسد

بنت أسد بن هاشم ، وأم الشافعي فاطمة بنت عبيدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، زاد أبو عبدالله في أبو عبدالله في روايته: وهي التي حملت الشافعي إلى اليمن وأدَّبته[xxi]. وقيل: كانت أزديَّة يمنيَّة ، واسمها: واسمها: فاطمة بنت عبدالله الأزدية[xxii]. قال ابن عبد الحكم (ت: 268هـ) [xxiii]: قال لي محمد بن إدريس إدريس الشافعي: ولدت بغزة سنة خمس ، يعني ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين ، ولم يكن لي مال ، فكنت ، فكنت أطلب العلم في الحداثة ؛ أذهب إلى الديوان استوهب الظهور[xxiv] أكتب فيها[xxv].

وروي عن الشافعي أنه قال: ولدت باليمن ، فخفت أمي عليَّ الضَّيعة ، وقلت: ألحق بأهلك فتكون مثلهم ؛ فإني أخاف أن تغلب على نسبك. فجهَّزتني إلى مكة ، فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر ، أو شبيه بذلك ،فصرت إلى نسيب لي ، وجعلت أطلب العلم ، فيقول لي: لا تشتغل بهذا ، وأقبل على ما ينفعك ، فجعلت لذتي في هذا العلم وطلبه ، حتى رزقني الله منه ما رزق ، وفي رواية: ولدت بعسقلان فلما أتى على سنتان حملتني أمي إلى مكة[xxvi].

قال الحميديُّ (ت: 219هـ)[xxvii]: قال محمد بن إدريس الشافعي R: " كنت يتيماً في حجر أمي ، فدفعتني في في الكتَّاب ، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم ، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام ، فلما حفظت القرآن القرآن ، دخلت المسجد ، فكنت أجلس العلماء ، وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها ، ولم يكن عند أمي ما أمي ما تعطيني أن أشتري به قراطيس ، فكنت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه فأكتب فيه ، فإذا امتلأ طرحته في جرة طرحته في جرة كانت لنا قديمة " ، قال: " ثُمَّ قدم وال على اليمن ، فكلمه لي بعض القرشيين أن أصحبه ، ولم ولم يكن عند أمي ما يعطيني أتحمَّل به ، فرهت[xxviii] دارها بستة عشر دينارا ، فأعطتني فتحمَّلت بها معه[xxix].

خلاصة الأمر أنَّ أمَّ الإمام الشافعي كانت هي صاحبة قرار انتقاله إلى مكة كي يتمكن من متابعة تحصيل العلم وطلبه ، وكي يكون على صلة بنسبه القرشي ، باذخ القيمة في حياة العرب ، وهي التي دفعته إلى الكتَّاب على قلة ذات يدها ، حتى يبلغ بها الإصرار على دفعه إلى حياة العلم أن ترهن البيت ، لتمكنه من مواصلة طريقه إلى العلم ، وهي التي أدبته.

ويبدو أنها – رحمهاالله – كانت قد ألمَّت بشيء من العلم التي لم يكن نساء تلك الزمان يخلون منه ، لا بل إنهن على إنهن على ما يبدو قد صرن من العلم والتعلم بمكان ، ويؤيد ذلك ما ذكر من أنها شهدت عند قاضي مكة في في قضيَّة هي وامرأة أخرى ، فأراد القاضي أن يفرق بينهما – امتحاناً – فقالت له أمُّ الإمام الشافعي: ليس لك ذلك

ليس لك ذلك ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (البقرة: 282) ، فمتى الحاكم . الحاكم . وهذا يدلّ على فضل عقل وعلم.

قال التاج السبكي (ت: 771هـ)[xxx] بعد نقل هذه الحكاية: " وهذا فرعٌ حسنٌ ، واستنباطٌ جيدٌ ، ومنزعٌ غريب ، غريب ، والمعروف في مذهب ولدها رضي الله تعالى عنه إطلاق القول بأنَّ الحاكم إذا ارتاب بالشهود استيبَّ له استيبَّ له التفريق بينهم. وكلامها رضي الله تعالى عنها صريح في استثناء النساء ؛ للمنزع التي ذكرته ، ولا ولا بأس به. قال – أي التاج السُّبكيُّ –: " وكانت أُمُّ الشافعي باتفاق النَّقلة ، من القانتات العابدات ، ومن أذكى أذكى الخلق فطْرة " [xxxi].

أم الإمام أحمد مع وقفة تحليلية لحال التأريخ لها:

هي صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك بن سوادة بن هند الشَّيبانية ، كان جدها عبد الملك بن سوادة من وجوه بني وجوه بني شيبان ، وكانت قبائل العرب تنزل عليه ، فيضيفهم[xxxii].

تتفق الروايات على أن الإمام أحمد (ت: 241هـ) [xxxiii] – R – مات ببغداد[xxxiv] ، وأصل أُسرته من البصرة ، لكنَّ جده انتقل منها إلى مرو[xxxv] ، حيث كان والياً على سرخس[xxxvi] في عهد الأمويين ، ثم كان من ثم كان من الدعاة إلى العباسيين ، وأما والده فقد كان بين أجناد مرو قائداً ، ومات وهو ابن ثلاثين سنة ، تقول تقول دائرة المعارف الإسلامية: " وهنا تروى روايتان ، واحدة تقول: إنه مات وأحمد طفل ، وأخرى تقول إنه إنه مات وأحمد حمل في بطن أمه ، فحولت به من مرو إلى بغداد ، ثم وليت أموره"[xxxvii].

وفي الحالين فإنه ، فيما يعنينا هنا ، أن نقرر أن الإمام أحمد بن حنبل عاش يتيماً ، وأن التي قامت على أَمره أَمره هي أمه.

هذا هو مبلغ ذكْر أُم الإمام أحمد بن حنبل في دائرة المعارف الإسلامية ، وهي – رحمها الله – من " وليت وليت أموره ! ". أو هو كما قالت الرواية الأخرى: " وقدم به أبوه من مرو ، وهو حمل ، فوضعته أُمُّه في بغداد بغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أُمُّه. هذه التي صنعت ما صنعت ليس لها في التاريخ إلا سطر في كتاب [xxxviii].

تلك هي الحقيقة التي جاءت مجملةً في كتب التاريخ العام ، وكتب الطبقات ، وكتب التراجم [xxxix].

ولا تزيد الكتابات الحديثة في الفقه ، وأُصوله ، وفى كتب الحديث ، وفى الفكر الإسلامي عامة أيَّ زيادة تذكر في التعريف بها رحمهاالله [xl]....

" ولِيَت أموره " أو: " كَفَلَتْهُ أُمُّه " ، أو: " نشأ في حجرِ أُمّه يتيماً " هكذا كان عملها رحمهاالله في حياة الإمام الإمام لم يكتب التاريخ الكثير عنها ، وإذا هو كتب شيئاً ، فإنه لم يكتبه عامداً إلى الكتابة عنها ، ولا متنَّبهاً إليها أصلاً ؛ ولنا أن نتأمل هذه الروايات من بعض أقرانه ، قال أبو بكر المروذيُّ(ت 275هـ)[xli]: " قال لي أبو لي أبو سراج بن خزيمة [xlii]: " كُنَّا مع أبي عبدالله في الكُتَّاب ، فكان النساء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا ابن ابن حنبل ، ليكتب جواب كُتبهن ، فكان إذا دخل إليهن ، لا يرفع رأسه ، ينظر إليهن. قال أبو سراج: فقال أبي ، أبي ، وذكره ، فجعل يعجب من أدبه ، وحسن طريقته ، فقال لنا ذات يوم: " أنا أُنفق على ولدي ، وأجيئهم وأجيئهم بالمؤدبين ، على أن يتأدبوا ، فما أراهم يفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم ، انظر: كيف يخرج؟ يخرج؟ وجعل يعجب".

قال أبو بكر المروذيُّ: وقال لي أبو عبدالله – يعنى الإمام أحمد –: كنت وأنا غلام أختلف إلى الكُتَّاب ، ثمَّ ثمَّ أختلف إلى الديوان[xliii] ، وأنا ابن أربع عشرة سنة [xliv].

لقد جعل أبو أبي سراج يعجب ؛ تلك أنه كان المعادل الموضوعيُّ لفعله في أبنائه: من الإنفاق عليهم ، والمجيء إليهم بالمؤدبين ، أن يتنكر الإشارة إلى الأم التي " ولِيَت أُمور هذا الغلام اليتيم ، وكلت هي من ورائه: رعاية ، وتربية ، وحثاً على العلم والعمل في الكتاتيب والدواوين ، وهو ابن الرابعة عشر ، لكنَّ الرجل لم يفعل ، ولا أشار الرَّاوي إلي تلك ، ولا فطن له!

وهنا سيكون واجباً على التاريخ وعلى المؤرخ المعاصر أن يكتب كلمته ، هو عن هذه الأم العظيمة ليكمل صورة الناقصة ، ويملأ الفجوة الغائرة ، وهو لا يكملها ، أو يملؤها عاطفةً ، أو تلفيقاً ، بل إنه يكملها بداعية العقل ، ودليل الثمرة والنتيجة التي رأيناها ، رأى العين ، والفكر ، والعلم ، وتذوقت الأمة حلاوتها ، تذوَّق: الحديث ، والفقه ، والأصول... ، وفوق تلك ومعه رأت الأمة وقفته من محنة خلق القرآن[xlv] ، ورجولته في الذود عن حقيقة الدين النَّقية ، التي هي مذهب أهل السنة والجماعة[xlvi]. سيكتب التاريخ الآن سيرة هذه الأم ، الآن نكتبها ، ومعنا الحجَّة والدليل.

كانت أُمُّ الإمام أحمد –رحمها الله – على ما يبدو من تتبُّع أخبارها التي رواها ، وحدَّث الإمام نفسه بها ، وبتفاصيلها ، ومعانيها ، ودلالاتها ؛ يرويها لأبنائه ، وفى المجامع ، كانت هذه الأمُّ ، على درجة عالية ،

ورفيعة من دقة المتابعة والتَّتبُّع، والتنظيم والتَّرشيد لحياة ابنها، الأمر الذي مكَّنه – دون ريب – من التَّحصيل ، التَّحصيل ، والعلم ، والمذاكرة ؛ روى عن حفيدها ، عبد الله بن الإمام أحمد ، قال: " سمعت أبي يقول: كنت ربما كنت ربما أردت البكور إلى الحديث فتأخذُ أمي ثيابي ، وتقول: حتى يؤذّن الناس، وحتى يصبحوا، وكنت ربَّما ربَّما بكرت إلى مجلس أبي بكر بن عيَّاش (ت:193هـ) ، وغيره[xlvii] ".

وكان الإمام أحمد ، دائم التَّرحُّم على أُمه ، يقول: رحم الله أمي ، كلما تهيَّأت لصلاة الفجر تذكَّرتها ، فقد كانت كانت تجهز لي ثيابي ، ووضوئي ، وقف على الباب حتى ترى الخيَّالة [xlviii] ، فإذا رأت الخيَّالة انطلقت ، وأطلقتني ، ودفعت إليَّ فطوري ، وأوصتني بالدرس بعد الصلاة[xlix].

وكانت رحمها الله من الأثر والتأثير عليه ، بحيث يظلُّ ، يراعي خاطرها ، ولا يأتي من الأفعال إلا ما يوافق هواها ؛ يحدِّث محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة (ت: 331هـ)[l]: حدثنا جدي ، قال: سمعت إبراهيم بن هاشم (ت: 242هـ)[li] يقول: لما قدم جرير بن عبد الحميد(ت: 188هـ)[lii] ، يعني بغداد ، نزل على بني المسيب[liii] ، فلما عبر إلى الجانب الشرقي جاء المدُّ[liv] ، فقلت لأحمد بن حنبل: تعبر؟ فقال: أُمِّي لا تدعني. قال: فعبرت أنا ، فلزمته [lv].

وحين ينوبه من نوائب الدَّهر ما ينوبه ، يعود إلى حماها ، ويرجع إلى دفئها ، وقد علم أنه ما أصابه ما أصابه إلا لأنه لم يستأذنها ، يقول ابنه صالح: قال أبي: وخرجت إلى الكوفة ، فكنت في بيت تحت رأس لبنة ، فحمرت ، فرجعت إلى أمي ، رحمها الله ، ولم أكن استأذنتها[lvi].

ويبلغ به البرُّ ، والتقدير لما قلت به في حياته أنه لمَّا أُكْرِه س على تولية القضاء ، وضرب على رأسه ضرباً شديداً ، أيام مروان ، فلم يل. لما أُطْلق ، قال: كان غمُّ والدتي أشدَّ من ضرب عليَّ[lvii].

قال الإمام أحمد : للأم ثلاثةُ أرباع البِر ، وقال أيضاً: الطاعةُ للأب ، وللأم ثلاثةُ أرباع البِر[lviii]. ولا يزال الإمام يتذكر أنَّ أُمَّه قد ثقبت أُذنه ، وهو صغير ، وجعلت فيها لؤلؤتين ، فلمَّا كبر دفعهما بثلاثين درهماً[lix].

درهماً[lix].

فأما الحديث عن زوجاته فإن أبا بكر المروذيَّ يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: " ما تزوجت إلا بعد الأربعين "[lx].

وقد تزوج بزوجتين وتسرَّى بجارية ، فأما الزوجة الأولى فهي عباسة بنت الفضل ، وأنجبت له صالحاً (ت: 265هـ) أكبر أولاده جميعاً ، وقد ولي قضاء أصبهان ، ومات سنة خمس وستين ومائتين عن نيف وستين سنة[lxi].

ولما توفيت أم صالح تزوج بريحانة فولدت له عبدالله (ت: 290هـ) ، وكان أحفظ للحديث من صالح أخيه ، فكان ، فكان أروى الناس عن أبيه ، ومات سنة تسعين ومائتين للهجرة[lxii].

وقد كان أحمد يعيش حياة زوجية مستقرة عبَّر عنها حين ذكر أهله بأنه مكث عشرين سنة ، وفي رواية: ثلاثين ثلاثين سنة لم يخلف وأهلُه في كلمة واحدة[lxiii]. وبصرف النظر عمن يتوجه حديثه إليها من الزوجتين: عباسة ، عباسة ، أو ريحانة ، فلم يؤثر عنه شكوى من الأخرى ، مما يؤكد استقرار حياته الزوجية على الإجمال. قال قال صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل: " كانت والدتي (وهي العباسة بنت الفضل ، كما ذكرنا من قبل) في الظلام ، الظلام ، تغزل غزلاً دقيقاً ، فتبيع الأشياء بدرهمين ، أقل ، أو أكثر ، فكان ذلك ، وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه (عن الإمام أحمد) كيلا يراه فيوبخنا[lxiv].

وأما الجارية التي تسمَّى بها فهي " حسن" وقد ولدت زينب ، والحسن والحسين توأما ، وماتا بالقرب من ولادتهما ، ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ، ومحمداً ، فعاشا حتى سن الأربعين ، وولدت سعيداً بعدهما[lxv]. وأصحُّ الروايات عن حياة سعيد أنه مات قبل أخيه عبدالله ، وكان قد تفقَّه ، وأما زينب ، فيقول الذهبيُّ: إنه لم يعلم يعلم عنها شيئاً ، بينما يقول ابن الجوزي: إن أباها كان يضربها على اللحن ، وينتهرها. وفي هذه الجملة الأخيرة – على دلالتها على ما لا يتسق مع شخص الإمام أحمد – ما قد يعبر عن أن العناية بتعليمها ، وتفقيهها لم تكن بعيدة عن اهتمام الإمام R.

ولم تكن أم ولده " حسن " بأقل قيمة ، وقدراً ، وإسعاداً ، وتقديراً لظروف مولاها ، وتحقيقاً لمعاني الزوجية ومقاصدها من قيمة زوجيه من الحرائر ؛ تروي الروايات وقوفها بجانبه ، وعرضها عليه ما يجتاز به بعض أزماته المالية التي كان يتعرض لها. وإننا لا نجد في روح الروايات عنها ما يعبر عن أدنى اختلاف في منزلتها عن منزلتي زوجتيه السابقتين الحرائر: عباسة ، وريحانة.

يروي الإمام الذهبي عن الخلال(ت: 311هـ)[lxvi]: حدثنا محمد بن علي بن بحر(ت: 299هـ)[lxvii] ، قال: سمعت سمعت حسن ، أمَّ ولد أبي عبدالله تقول: قلت لمولاي: اصرف فرد خلخالي[lxviii] ، قال: وتطيب نفسك؟ قلت: نعم. قلت: نعم. قلت: فأعطيته أبا الحسن بن صالح ، فباعه بثمانية دنانير وضف ، وفرقها وقت حملي ، فلما ولدت "

ولدت " حسناً " أعطى مولاتي كرامة – وهي امرأة كبيرة كلت تخدمهم – درهماً ، فقال: اشترى بها رأساً[lxix] ، رأساً[lxix] ، فجاءت به ، فأكلنا ، فقال: يا حسن ، ما أَمك غير هذا الدّرهم ، قلت: وكان إذا لم يكن عنده شيء فرِح يومه[lxx].

هذا ، والأمر اللافت أنه – R – لم يجمع بين أيٍ من زوجيه ، ولا حتى مع سُرِّيَّته ؛ تزوج ريحانةَ ، أم عبد الله بعدما ماتت عباسة ، أمُّ صالح ، وتسري بحسنٍ بعدما ماتت ريحانة.

الخاتمة :

فهل يا تُرى أنَّه من العدل ، ومن وثاقة التاريخ ، والتأريخ أن نكتب عن هؤلاء الأمهات ، أمهات عليةِ علماء الأمة ، أن نكتب عنهن كأيّ أمهات عاديات ربَّين أبناءهن: حملْنهم ، وأرضعنهم ، غسَّلْنهم ، وألبسنهم ، وأطعمنهم...؟ على عظمة هذه الأعمال ، وفضلها ، وغنائها؟ !

إنه ليس من العدل ، ولا من الوعي أن نفعل ذلك ، وقد بدا لنا من وعيهن ، وهدفهن إلى هذه الغاية ، وقصدهن إليها ، ما يعني أنَّهنَّ يقمن في هذا الشأن العلمي ، والعمل الدعوي ، والتبليغي بالواجب الكفائي المعين والمساعد لأبنائهن كي يحققوا الأهداف والمقاصد التي يبتغونها لدينهم وأمتهم.

هذه ترتّب لابنها أوقاته: وطعامه ، ومشربه ولباسه ، وتلك تدفعه عن طريق اللهو والغناء ، لتدفعه إلى طريق العلم والوقار ، ومقتضياته ، هذه تلفته إلى أدب ربيعة قبل علمه ، والعجب من تلك التي لا تتوقف آمالها في ابنها عند علمه وفكره ، بل تتحرى قلبه ، وتنبهه إلى أن يحرر نيته ، ويتحرَّى ضميره حتى لا يتحوَّل العلم النافع إلى مضرَّةٍ لا تنفع.

أيُّ نفوس كلت هاتيك النفوس العاليات! أيُّ فُهوم ثاقبات ، وعقول راجحات ، وذكاء لمَّاح ، وتحديد هدف ، وغاية في وقت ترزح فيه الواحدة منهن تحت نير[lxxi] العوز ، والحاجة ، وأثقال الحياة ، وهي المرأة الوحيدة ، الفريدة ، المعيلة. ما خضعتها الوحدة ، وخشية الفاقة – مع قسوتها – إلى أن تتنازل عما أرادته لابنها ، أو قل: ما أرادته لدينها وأمتها من القيام على واجب وفريضة الدعوة والبلاغ. وإن بقاء النفس مقدم على ما عداه من الضرورات ، كما علمنا العلماء[lxxii] ، وحاجة بقاء النفس مقدَّمةٌ ، لا جدال ؛ فلا تسأل من ليس في بيته دقيق عن الفقه ، أنَّى لمن فقد الدقيق أن يجد القدرة على الفقه والعلم ومذاكرته ، وشراء كتبه ، وأدواته ، وتكلفة رحلاته ، وأسفاره؟ !.

هذه الحيوات الفقيرة المعوزة ، التي لم تكن الواحدة منهن لتملك من الدنيا إلا ما يخرج من مغزلها ، وقصر أن تكمل الطريق حتى يكون ابنها الإمام المقدَّم في الأمة ، والمرجع الموثق عند الناس: أعظم ما يعظّمون ، وأجلَّ ما يجلون: وكيف لا وهم حملة الدين وشارحو الشريعة؟ !.

بدايات محرقات كانت أمهات الأئمة وقودها ، لكنها تحولت نهايات مشرقة للأمة كلها

إن المرء ليقف أمام هذه الحالات ، فيتعاظمه الأمر ، ويتساءل: من يطيق ما أطاقتهنَّ هؤلاء النسوة؟ ! بل الأهمُّ تساؤلاً: كيف أطقن هذا؟

والإجابة لا شك تأتي واثقةً: إنها الغايات الإيمانية ، والبواعث الغيبية العقديَّة تفعل كلَّ هذا ؛ إنها أنفسٌ فهمت دينها ، وعرفت رسالتها ، وتحققت من الواجب عليها ، وعرفت مسئوليَّتها ، وأخذت أمرها بقوة ، إنها نفوس صنعت صناعةً إسلاميةً صحيحة ، فهي صناعةٌ ثقيلة.. وهذا واحدٌ من أهم إجابات سؤال استعادة النهضة ، وأهم حلول إشكالات الحضارة الإسلامية ، صناعة الأنفس العالية.

كيف للتاريخ أن يقيم هذا الواجب المجتمعيَّ لأمهات الأئمة والعلماء؟ هل يصح أن يوضع هذا الواجب في غير عنوان: الواجب الذي قمن به الحياة العلمية للأمة "؟ وهل أنه لن يكون لهن نصيب من أجر العمل الباقي الذي لا ينقطع الذي لا يقف عند كونهن أمهات هؤلاء الذين هم الولد الصالح الذي سيدعو لهن ، العلماء بل يتجاوزه إلى أجر العلم الذي ينتفع به ، والذي كنَّ هنَّ السبب فيه ، وكنَّ صانعاته على وجه الحقيقة.

لقد كان عملهنَّ عملاً في صميم العمل العلمي البلاغي ، الدعوي ، وليس في مجرد العمل الأسري. d.

الهوامش

(i) تُرى: هل في ذلك رابطٌ بين هذه الحالة ، وحال يتم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ !.

(ii) عبد الرحمن أحمد المختار: الحياة الاجتماعية للعلماء بين (50هـ – 150هـ) من خلال كتابي سير أعلام النبلاء للذهبي (ت748 هـ) والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ت597هـ). ماجستير جامعة صنعاء– 1999م. لم أستطع الاطلاع على هذه الرسالة ، غير أنني قد علمت بهذه المعلومة من موجز مكتوب عن الرسالة على الإنترنت.

(iii) يقول الباحث إنه لم يستخدم فى دراسته من هذا العدد من العلماء إلا مائة وثمانين عالماً ، والدارسة المذكورة ، على هذا النحو تلفت الباحثين إلى مزيد بحث في الموضوع .كما تلفت النَّظر إلى أهمية المصدرين المذكورين: " سير أعلام النبلاء " ، " والمنتظم " في بحث الحيوات الاجتماعية في الفترات التي تعرضت لها. العلاقات الاجتماعية للعلماء: المقدمة.

(iv) ربيعة بن أبي عبد الرحمن: فروخ مولى آل المنكدر أبو عثمان فقيه المدينة صاحب الرأي ، روى عن أنس والسائب بن يزيد وابن المسيب ، ويروي عنه مالك والليث وأبو ضمرة. توفي بالأنبار سنة 136هـ. الذهبي: الكاشف 393/1.

(v) تلبب: تلبب الرجل: تحزم وتشمر. والمتلبب: المتحزم بالسلاح وغيره. وكل مجمع لثيابه: متلبب. ابن منظور: لسان العرب (ل ب ب) 733/1.

(vi) المشيخة: جمع الشيخ ، وهو الذي بلغ سن الشيخوخة ، وهي غالباً ما فوق الخمسين ، والجمع شُيوخٌ وشِيوخٌ وأشْياخٌ ، ومشيخةٌ ومشايخ. ابن منظور: لسان العرب 31/3.

(vii) الطرحة: ما يطرحه الإنسان من شيء ، وهو هنا قطعة من قماش يطرحها الإنسان على رأسه ، كالغترة الخليجية: راجع: الرازي: مختار الصحاح (ط ر ح) 163.

(viii) ابن الجوزي: المنتظم: 7/ 349.

(ix) الأوزاعي: الإمام الحافظ أبو عمرو ، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي ، فقيه ومحدث ، وأحد تابعي التابعين وإمام أهل الشام في زمانه. ولد سنة ثمان وثمانين ، وأدرك فى بداية شبابه خلافة عمر بن عبد العزيز. احترق معظم موروث الأوزاعي من المؤلفات والتصانيف ، زمن الرجفة ، وهي زلزلة عظيمة أصابت الشام سنة 130 هـ ، وعزف عن إعادة كتابتها حتى مات. وقال الختلي: رأيت شيخا راكبا على جمل ، وآخر يقوده ، وآخر يسوقه ، وهما يقولان أوسعوا للشيخ. فقلت: من الراكب؟ ، قيل: الأوزاعي. قلت: من القائد؟ ، قيل: سفيان الثوري ، قلت: فمن السائق؟ قيل: مالك. قال ابن عساكر: لولا أنهم رأوا أنه أفضلُ هم ما فعلوا به ذلك. لُقّب بشفيع النصارى لموقفه الحازم في مواجهة واليي الشام زمن الخليفة العبَّاسي أبي جعفر المنصور ، اللذين عزما على إجلاء أهالي جبل لبنان المسيحيين بعد أن ثارت جماعة منهم وتمرَّدت على العبَّاسيين ، فرفض الأوزاعي إجلاء هؤلاء كُلّهم طالما أنَّ فئةً منهم فقط هي من ثارت ، وحفظ أهل الجبل له جميله. سكن بيروت مرابطاً إلى أن مات بها في أواخر خلافة أبي جعفر ، وهو ابن سبعين سنة ، وذلك سنة سبع وخمسين ومائة. وكانت جنازته كبيرة وقيل: إن من شارك فيها من المسيحيين واليهود كان أكثر ممن شارك من المسلمين. البلاذري: فتوح البلدان 167/2. ابن عساكر: تاريخ دمشق 165/35 ، 189.

(x) الذهبي: سير أعلام النبلاء: 7/ 110 ، ابن كثير: البداية والنهاية 10/ 115.

(xi) الإمام مالك: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني 179-93)هـ-711 / 795م ، أمام الحرمين والمستفيض مذهبه في المشرقين والمغربين ، قال الشافعي: «إذا ذُكر العلماء فمالك النجم ، ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين ، ويعدُّ كتابه" الموطأ "من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها وأصحّها ، ولد الإمام مالك بالمدينة المنورة سنة 93هـ ، جلس للفتيا بعد أن شهد له سبعون شيخاً من أهل العلم أنه موضعَ لذلك ، مات سنة 197هـ ، دفن بالبقيع. البخاري: التاريخ الكبير 310/7 .

(xii) ابن فرحون: الديباج المذهب 84/1.

(xiii) ابن القاسم: عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتَقي ، أبو عبد الله ، فقيه مصر ، صاحب مالك ، ثقة من كبار العاشرة ، يروي عن مالك وعبد الرحمن بن شريح ويروي عنه أصبغ وسحنون ، صدوق ثقة ورع مكثر إمام ، والعتقي بضم المهملة وفتح المثناة بعدها قاف توفي 191هـ. الذهبي: الكاشف 640/1 ، ابن حجر: تقريب التهذيب 348/1.

(xiv) اليحصبِيُّ: ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك: 54/1.

(xv) الأصفهاني: الأغاني: 4/ 222.

(xvi) ثياب مشَمَّرة: شمر الإزار والثوب تشميراً: رفعه ، وهو نحو ذلك. والشمر: تشميرك الثوب إذا رفعته. ابن منظور: لسان العرب (ش م ر) 428/4.

(xvii) ابن فرحون: الديباج المذهب 20/1.

(xviii) ابن فرحون: الديباج المذهب 20/1.

(xix) يونس بن عبد الأعلى : الصَّدفي ، أبو موسى المصري ، الحافظ شيخ الإسلام أحد الأئمة من صغار العاشرة ، وأمه فليحة بنت أبان التجيبية ولد سنة سبعين ومئة ، روي عن تلميذه أبي حاتم الرازي ، وقرأ القرآن على ورش صاحب نافع ، وكان من كبار العلماء في زمانه ، ثقة ، فقيه ، محدّث مُقرئ من العقلاء النبلاء. مات سنة أربع وستين ومائتين وله ست وتسعون سنة. ابن حجر: تقريب التهذيب 613/1 ، الذهبي: الكاشف 403/2 ، سير أعلام النبلاء 348/12 -351.

(xx) الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله المطّلبي المكّي الشّافعي الإمام ، ناصر الحديث ، نزيل مصر رأس الطبقة التاسعة وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين ، يروي عن: مالك ، والزنجي ويروي عنه أحمد ، والربيع ، ثقة. مات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه ، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ ، وهو ابن عشر وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة وقيل: ابن ثماني عشرة سنة ، وعنى باللغة والشعر وأقام في هذيل نحوا من عشر سنين وقيل عشرين سنة فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وهمته وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي وروى عنه خلق كثير ، ولى الحكم بنجران من أرض اليمن ثم تعصبوا عليه

ووشوا به إلى الرشيد واتهموه أنه يروم الخلافة فحمل على بغل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة ، فاجتمع بالرشيد ، فتناظر هو ومحمد بن الحسن الشَّيباني بين يدي الرشيد ، وأحسن القول فيه محمد بن الحسن ، وتبين للرشيد براءته مما نسب إليه ، وأنزله محمد بن الحسن عنده ، ثم عاد الشافعي إلى مكة ، ثم رجع إلى العراق في سنة خمس وتسعين ومائة فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو ثور ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في سنة أربع ومائتين ، وصنف بها كتابه:" الأم" وهو من كتبه الجديدة لأنها من رواية الربيع بن سليمان ، وهو مصري. الذهبي: الكاشف 155/2 ، ابن كثير: البداية والنهاية 251/10 ، ابن حجر: تقريب التهذيب 467/1.

(xxi) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: 51/ 275.

(xxii) السلمساني: منازل الأئمة الأربعة 201.

(xxiii) ابن عبد الحكم: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، الإمام الحافظ ، فقيه عصره ، أبو عبد الله ، المصري ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وتفقه بأبيه وبالشافعي ، قال النسائي: ثقة ، وقال بن خزيمة ما رأيت في الفقهاء اعلم بأقاويل الصحابة والتابعين منه ، وقال بن أبي حاتم ثقة صدوق أحد فقهاء مصر من أصحاب مالك ، وقال أبو إسحاق الشيرازي حمل في المحنة إلى بن أبي دواد فلم يجبه فردوه وانتهت إليه الرئاسة بمصر في العلم. قلت: له كتب كثيرة منها الرد على الشافعي وكتاب أحكام القرآن ورد على فقهاء العراق وغير ذلك. مات في سنة ثمان وستين ومائتين R تعالى. الذهبي: تذكرة الحفاظ 547/2.

(xxiv) استوهب الظهور ، أي يطلب الورق المستعمل ليكتب على ظهره.

(xxv) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 59/2.

(xxvi) الخطيب البغدادى: تاريخ مدينة بغداد: 2/ 59.

(xxvii) الحُمَيْدِيُّ: أبو بكر ، عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، الإمام،الحافظ ، الفقيه ، شيخ الحرم ، أبو بكر القُرَشِيُّ= =الأسدي الحميدي ، المكي ، صاحب المسند ، وهو معدود في كبار أصحاب الشافعي. قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام. لما توفي الشافعي أراد الحميدي أن يتصدر موضعه فتنافس هو ، وابن عبد الحكم على ذلك وغلبه ابن عبد الحكم على مجلس الإمام ، ثُمَّ إنَّ الحميدي ، رجع إلى مكة ، وأقام بها حتى مات سنة تسع عشرة ومائتين. الذهبي: سير أعلام النبلاء 617/10.

(xxviii) الرَّهن: الرهن في اللغة الثبوت ، وفي الشرع جعل عين مال وثيقة بدين يستوفي منها عند تعذر استيفائه ممن عليه. والأصل فيه أدلة منها: آية المداينة ، سورة البقرة ، الآية: 282:﴿ وإن كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرِهان مقبوضة ﴾. النووي: تحرير ألفاظ التنبيه 1/ 193.

(xxix) ابن أبي حاتم (ت: 327 هـ): آداب الشافعي ومناقبه 21.

(xxx) التاج السُّبْكِيُّ: أبو نصر ، تاج الدين ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، الشافعي ، مولده بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، قدم دمشق مع والده سنة تسع وثلاثين ، وقرأ على الحافظ المزّي ، ولازم الذهبي ، وتخرج به وطلب بنفسه ، ودأب ، ودرس ، وحدَّث ، وصنَّف ، وأشغل وناب عن أبيه ، ثم استقلَّ بالقضاء ، ثُمَّ عزِل مدة لطيفة ، ثُمَّ أُعيد ، وتكرر ذلك عدة مرات ، و ذكره الذهبي في المعجم المختص وأثنى عليه. وقال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد مالم يجرِ على قاض قبله ، وحصل له من المناصب مالم يحصل لأحد قبله. صنف تصانيف عدة في فنون على صغر سنة وكثرة أشغاله ، وكان سيدا جوادا كريما مهيبا تخضع له أرباب المناصب من القضاة وغيرهم توفي شهيدا بالطاعون في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ودفن بسفح المقطم عن أربع وأربعين سنة ومن تصانيفه شرح مختصر ابن الحاجب ، وطبقات الفقهاء الكبرى. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية 104/3.

(xxxi) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية 285/1.

(xxxii) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل: 21.

(xxxiii) الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي 241-164)هـ855-780 / م ، رابع الأئمة الأربعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي ، أثنى عليه كثير من العلماء منهم الإمام الشافعي بقوله: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أورع ولا أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل ، ويعدُّ كتابه" المسند "من أشهر كتب الحديث وأوسعها. ولد أحمد بن حنبل سنة 164هـ في بغداد ، ورحل في طلب الحديث إلى العراق والحجاز وتهامة واليمن ، وعندما بلغ أربعين عاماً في سنة 204هـ جلس للتحديث والإفتاء في بغداد ، اشتهر ابن حنبل بصبره على المحنة التي وقعت به والتي عرفت باسم" فتنة خلق القرآن" ، فحبس ابن حنبل وعذب ، ثم أُخرج من السجن وعاد إلى التحديث والتدريس ، وفي عهد الواثق منع من الاجتماع بالناس ، فلما تولى المتوكل الحكم أنهى تلك الفتنة إنهاء كاملاً. مات سنة 241هـ، ، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة. أبو يعلى: طبقات الحنابلة ، 1 /4 ، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص257.

(xxxiv) لعل أصح الروايات في نسبه هي التي ذكرت عن ابنه عبد الله أنه " أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ، وقد أوصلت نسبه إلى ذهل بن ثعلبة ". وهذا ما قرره الذهبي ، وصححه ، وأكده بقوله: " هكذا ساق نسبه ولده عبد الله ، واعتمده أبو بكر الخطيب ، في " تاريخه " ، وغيره " ذلك أن بعض الروايات – ومنها رواية ابن الأثير: الكامل: 5/ 297 – قد أخطأت ، فذكرت أن الإمام أحمد بن حنبل من بنى ذهل بن شيبان. راجع: الخطيب البغدادي: 4/ 412 ، الذهبي: سير أعلام النبلاء: 11/ 178.

(xxxv) مرو: هي من أمهات مدن خراسان ، دخلها الإسلام بعدما فتحت على يد الأحنف بن قيس .بقيت مرو عاصمةً لإقليم خراسان في عهد الخلافة الأموية. وكذلك كانت مركز خراسان أيام أن كان المأمون فيها ، واستمرت كذلك إلى أن نقل الطاهريون مركز خراسان إلى نيسابور (مشهد الإيرانية حاليا). دفن في مرو عدد من الصحابة أبرزهم: بريدة بن الحصيب الأَسْلَمِيُّ ، وأبو برزة ، والحكم بن عمرو الغفاري. وهناك العديد من العلماء ولدوا أو نشأوا بها ، منهم عبد

الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ولد بمرو ، ثم قدم بغداد ، وإسحاق بن راهويه المروزي ثم ذهب لنيسابور ، وبشر بن الحارث الملقب بالحافي. ياقوت: معجم البلدان: 54/4 ، 115.

(xxxvi) سرخس: مدينة سرخس القديمة كانت تقع بين نيسابور ومرو ، فتحت سرخس سنة 31 هـ ، في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان س ، وينسب إلي مدينة سرخس من لا يحصى من الفقهاء المتأخرين والعلماء الأفذاذ أمثال الإمام الترمذي ، الفقيه المحدث شيخ عصره بخراسان (ت: 389 هـ) ، والعلامة أبوبكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، أشهر الفقهاء الحنفية في ما وراء النهر في القرن الخامس ، وقضى في السجن أكثر من عشر سنوات ، كان يملي فيها علي مريديه وهم جلوس أمام السجن ، ومن أهم مصنفاته «المبسوط للسرخسي» في 30 مجلداً (أملا 14 مجلداً منها في السجن) ، توفي عام 483 هـ ، والإمام أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب ، المشهور بـ «ابن الطيب السَّرخْسي» ، ولد في سرخس ، وقد أصبح من بعد موضع سر الخليفة المعتضد. له تصانيف ، منها " كتاب السياسة " ، و " المسالك والممالك " وغيرهما. وكانت سرخس مسقط رأس وزير المأمون الذائع الصيت الفضل بن سهل ، وقد نهبها المغول ومحوها من الوجود. ياقوت: معجم البلدان 1/ 20.

(xxxvii) دائرة المعارف الإسلامية: 2/ 371 ، مصر – طبعة دار الشعب.

(xxxviii) راجع د/ صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه: 394.

(xxxix) اختلفت هذه المصادر فيما بينها من حيث المساحة التي أفردها هذا المصدر أو ذاك لترجمة الإمام أحمد بن حنبل ، فبينما يكتب ابن الأثير عنه كلمات معدودات ، لا تتعدى السطر الواحد ، إذ يقول في التأريخ لأحداث سنة: (241هـ): " وفيها توفى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الفقيه المحدّث في شهر ربيع الأول ": ابن الأثير ، عز الدين: الكامل: 5/ 297. نجد الخطيب البغداديَّ يركز في ترجمته على تصحيح نسبه ، ويذكر طرفاً من حياته العلمية ، لكنه لا يتعرض للمحنة ، ولا لشيء من حياته الأُسرية !: راجع الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد 4/ 412هـ ، على أن الذهبى وابن الجوزي قد أفاضا في جوانب من حياة الإمام إفاضة أوقعت فى مبالغات تحتاج نظراً وتدقيقاً ، كذكرهم من أسلم يوم وفاة أحمد بن حنبل ، والمنامات التي رويت ، أو رواها هو لبيان مكانته: راجع: أبو نعيم: الحلية 9/ 164. ونجد خير الدين الزركلي يذكر اسم الإمام ، وعمل أبيه ، ومؤلفاته ، ويشير إلى المحنة بإيجاز شديد: الأعلام للزركلي: 1/ 203.

(xl) انظر على سبيل المثال: د محمد محمد أبو شهبة: أعلام المحدّثين: 105.

(xli) المروذى: أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ، أبو بكر المروذي ، كانت أمه مروذيَّة (من مرو الروذ) ، وأبوه خوارزمياً وهو المقدَّم من أصحاب أحمد ، لورعه وفضله ، وكان أحمد يأنس به ، وينبسط إليه ، وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله ، وقد روى عنه مسائل كثيرة ، لزم أحمد دهراً ، وأخذ عنه العلم والعمل ، مات سنة 275هـ. ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة 56/1 ، الذهبي: تذكرة الحفاظ 633/2.

(xlii) أبو سراج بن خزيمة: لم أجد له ترجمة لكنه من تلامذة الإمام أحمد ويروي عنه مباشرة.

(xliii) يقول أستاذي الدكتور أبو اليزيد العجمي : ولعل ذَهابه إلى الديوان ليتعلم شيئاً من الأمور هناك. راجع العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة: هامش صفحة: 300. وظني أنه كان يختلف إلى الإمامين.

(xliv) راجع: ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد: 44.

(xlv) محنة خلق القرآن: هي فكر انتشر في عهد الخليفة العباسي المأمون (198– 218 هـ) من قبل فرقة المعتزلة ، والتي تعد أن القرآن مخلوق (اعتبر المعتزلة أن القرآن يحوي نصوصاً متنوعة ومختلفة ومتعارضة أحياناً ، وحيث إنه ليس جائزاً تنسيب التناقض في القول إلى الله ، يصبح من الضرورة إذاً اللجوء إلى النظر العقلي لتفسير ما ورد في القرآن ، مما ينزع عنه الأبدية أو عدم الاجتهاد في نصوصه ، وهذه القضية التي أثارها المعتزلة لا تزال تحتل موقعاً راهناً في السجال حول كيفية قراءة النص الديني ومدى اعتماد العقل في تفسير الشريعة الإسلامية. أراد المعتزلة أن يُفسّروا النَّصَّ بما يحقق انسجامه مع مقتضيات العقل ، فيما اعتمدت مدرسة أهل الحديث على مبدأ تقديم النقل على العقل ، واقتنع بهذا الرأي الفلسفي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل كلَّ قاضٍ لا يؤمن به. وهو ما لقي معارضة واستهجان كثيرٍ من الأئمة مثل الإمام أحمد بن حنبل ، والذي تحمل من أجل ذلك الكثير من التعذيب حتى قام الخليفة المتوكل بإنهاء هذه المحنة ، وأفرج عنه. ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، في ذكر ابتداء المحنة وسببها: 416– 418 ، محمد أبو زهرة: ابن حنبل: 46.

(xlvi) مذهب السنة والجماعة ، على ما قال الإمام أحمد بن حنبل ، حيث قال: " صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة ، من يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأقرَّ بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل ، وعقد عليه ، على ما أظهر ، ولم يَشُكَّ في إيمانه ، ولم يُكَفِّرْ أحداً من أهل التوحيد بذنب ، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله عز وجل ، وفوَّض أمره إلى الله عز وجل ": ابنَ أبي يعلى: طبقات الحنابلة: 1/ 294.

(xlvii) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 1/ 151.

وأبو بكر بن عيَّاش: أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي الحنَّاط المقرئ السُّلَميُّ ، مولى واصل الأحْدَب ، وقيل: كان مولى لبنى أسد ، من المتورعين في الدين ، فاضل له كتاب في غريب الحديث ، مقبول من السابعة أحد الأعلام. قال أحمد: صدوق ثقة ربما غلط. وقال ابن المبارك: ما رأيت أحداً أسرع إلى السُّنة من أبي بكر بن عيَّاش. مات 193هـ عن ست وتسعين سنة. الذهبي: معرفة القراء الكبار 134/1 – 135 ، الكاشف 412/2 ، ابن حجر: تقريب التهذيب 624/1.

(xlviii) الخيَّالة: أصحاب الخيول ، والمراد الشرط. الرازي: مختار الصحاح: 82.

(xlix) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي ، وآداب السامع: 1/؟

(l) يعقوب بن شَيبة: يعقوب بن شيبة ابن الصَّلت بن عصفور ، الحافظ الكبير ، العلامة ، الثقة أبو يوسف السَّدوسي البصري ثم البغدادي صاحب المسند الكبير ، العديم النظير ، المعلل الذي تم من مسانيده نحو من ثلاثين مجلداً ،

ولو كمل لجاء في مئة مجلد ، مولده في حدود الثمانين ومئة وسماعاته على رأس المئتين. حدَّث عنه حفيده محمد بن أحمد بن يعقوب: وطائفة. وفقه أبو بكر الخطيب ، وغيره ، قال الخطيب: بلغني أنه كان في منزل يعقوب بن شيبة أربعون لحافا أعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيضون له المسند. الذهبي: سير أعلام النبلاء 476/12.

(li) إبراهيم بن هاشم: إبراهيم بن هاشم بن مشكان (أبو نصر) سمع هشيم بن بشير ومحمد بن عمر الواقدي وجرير بن عبد الحميد ويزيد بن هارون وبشر بن الحارث روى عن يعقوب بن شيبة ، وطائفة. قال محمد بن موسى وهو البربري: الذي اجتمعت عندهم كتب الواقدي أربعة أنفس محمد بن سعد الكاتب وأبو حسان الزيادي وإبراهيم بن سعيد الجوهري وإبراهيم بن هاشم بن مشكان ، وهو صاحب بشر بن الحارث (الحافي) ، مات في سنة اثنتين وأربعين ومائتين. الخطيب: تاريخ بغداد 202/6 ، ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة 98/1

(lii) جرير بن عبد الحميد: جرير بن عبد الحميد بن جرير الرازي. قال علي بن المديني: كان جرير بن عبد الحميد الرازي صاحب ليل ، وكان له رسن يقولون إذا أعيا تعلق به يريد أنه كان يصلي. ولد جرير سنة عشر ومائة وفيها مات الحسن ورأى أيوب السختياني. وله مصنفات. قال ابن حجر: جرير بن عبد الحميد بن قُرط ، الضبِيُّ ، الكوفي نزيل الرَّي ، وقاضيها ، ثقة ، صحيح الكتاب. توفي سنة ثمان وثمانين ومائة. ابن الجوزي: صفة الصفوة 87/4 ، الذهبي: الكاشف 291/1 ، ابن حجر: تقريب التهذيب 139/1.

(liii) بنو المسيب: هو المسيب الضبي ، كان من المقربين من المنصور ، ثم كان بنوه من بعده مقربين من الخلفاء. البلاذُريُّ: أنساب الأشراف 394/1

(liv) المدُّ: السيل ، المقصود ارتفاع الماء في النهر. راجع: الرازي: مختار الصحاح (م د د): 258.

(lv) الخطيب البغدادى: تاريخ مدينة بغداد: 7/ 257.

(lvi) صالح بن حنبل: سيرة الإمام أحمد بن حنبل: 1/ 33.

(lvii) ابن كثير: البداية والنهاية 10/ 326.

(lviii) ابن القيم: إعلام الموقعين: 359/4.

(lix) ابن كثير: البداية والنهاية 10/ 326.

(lx) الذهبي: سير أعلام النبلاء 11 /187.

(lxi) الذهبي: سير أعلام النبلاء 11: /333.

(lxii) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل: 383. لاحظ أن مبلغ ذكر أم الإمام أحمد بن حنبل فى دائرة المعارف الإسلامية ، أنها – رحمها الله – " من وليت أموره "!!.

(lxiii) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل: 285.

(lxiv) الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء: 11/ 209 ، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل: 308.

(lxv) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل: 377.

(lxvi) الخَلال: أحمد بن محمد بن هارون ، أبو بكر الخَلال ، الحنبلي ، صاحب الكتاب الجامع لعلوم الإمام أحمد ، ولم يصنف في مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب وكان ممن صرف عنايته إلى الجمع لعلوم أحمد بن حنبل وطلبها وسافر لأجلها وكتبها: عاليةً ونازلةً ، وصنَّفها كتباً ، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أَجمع منه. مات في سنة 311هـ ، ودفن إلى جنب أبي بكر المروذِي. الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد 112/5 ، ابن كثير: البداية والنهاية 148/11

(lxvii) محمد بن على بن بحر: أبو بكر البزَّاز ، حدَّث عن أبى حفص ، عمر بن أخت بشر بن الحارث روى عنه: محمد بن مخلد ، وأبو عمرو بن السماك. توفى في سنة 299هـ. الخطيب البغداديُّ: تاريخ بغداد 66/3.

(lxviii) الخَلْخَال: واحد خلاخيل النساء. الرازي: مختار الصحاح (خ ل ل) 79.

(lxix) تطلق الرأس على الغنم ، فيقال عندي رأس من الغنم. المعجم الوسيط 319/1.

(lxx) الذهبي: سير أعلام النبلاء: 11/ 232.

(lxxi) نير: النون والياء والراء كلمة تدل على وضوح شيء وبروزه. والنِّيرُ: الخشبة المعَرَّضة في عُنُقِ الثَّورين: والجمعُ النِّيران ، والأنيار. الرازي: مختار الصحاح: 266.

(lxxii) قسم علماء الأمة حاجات الإنسان الضرورية ، والواجب المحافظة عليها وتحقيقها خمس ضرورات هى حفظ النفس والعقل والمال والعرض والدين على ما هو معروف فى كتب الفقه وأصوله ، والمقاصد.

المصادر والمراجع

أولا المصادر :

1- القرآن الكريم.

2- الأَصفَهاني ، أبو الفرج، علي بن الحسين المرواني الأموي القرشي (ت: 356 هـ.): الأغاني، دار الفكر الفكر للطباعة والنشر، لبنان، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر.(طبعة أخرى: دار الثقافة، بيروت.)

3- البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت:256 هـ): التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ.، 1986م.

4- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279) :

أ- فتوح البلدان، الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: رضوان محمد رضوان، 1403 هـ..

ب- أنساب الأشراف، الجزء الأول، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية ودار المعارف، القاهرة، تحقيق: د. محمد حميدالله، 1959م.

5- ابن الجوزي: أبو الفرج، عبد الرحمن بن أبي الحسن (ت: 597هـ):

أ- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1358 هـ..

ب- مناقب الإمام أحمد بن حنبل. ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر ، الطبعة الثانية، الطبعة الثانية، 1409 هـ..

6- ابن حجر: الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ.): تقريب التهذيب، دار الرشيد، سوريا، الرشيد، سوريا، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، 1406 هـ. / 1986م.

7- ابن حنبل، أبو الفضل، صالح بن أحمد بن حنبل (ت: 265 هـ.): سيرة الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة، الإسكندرية، تحقيق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، الطبعة الثانية، 1404هـ. .

8- الخطيب البغدادي: أبو بكر، أحمد بن علي (ت: 463 هـ.).

أ- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف، الرياض، تحقيق: د. محمود الطحان، 1403 هـ..

9- الذهبي: أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت:748 هـ.):

أ- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، 1413 هـ..

ب- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، د ت.

ت- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، 1992 م.

10- الرازي: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 666 هـ): مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، تحقيق: محمود خاطر، 1415هـ، 1995م.

11- السلماسي، أبو زكريا، يحيى بن إبراهيم بن أبي طاهر الأزدي السلماسي (ت: 550 هـ.) ، مناذل الأئمة الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، تحقيق: محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، الوطنية، الطبعة الأولى، 1422 هـ./2002م.

12- ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت:571 هـ.): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، غرامة العمري، 1995م.

13- بن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي (ت:799 هـ.): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.

14- ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، (ت:851هـ): طبقات الشافعية، عالم الكتب، بيروت، 1407، الطبعة الأولى تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.

15- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751 هـ.): إعلام الموقعين عن الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل، بيروت، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى، 1973 م.

16- ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي (ت:774 هـ.): البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، بيروت، 1987م.)

17- ابن منظور: جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن حبقة (ت:711 هـ.) : لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، غير مؤرخ.

18- النَّووي، أبو زكريا، محي الدين بن شرف النووي (ت:676 هـ.): تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، دار دار القلم، دمشق، 1408، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الغني الدقر.

19- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت:626 هـ.): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت. الفكر، بيروت. (طبعة أخرى: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.).

20- اليحصبي، أبو الفضل، عياض بن موسى الأندلسي (ت544هـ) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418 هـ. / 1998م.

21- ابن أبي يعلَى: أبو الحسين، محمد بن محمد (ت: 526 هـ.): طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

ثانيا المراجع:

1- أبو زهرة: محمد : ابن حنبل حياته وعصره وآراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – 2008م.

2- أبو شهبة: محمد محمد :أعلام المحدثين – هيئة كبار العلماء – الطبعة الأولى – 2019.

3- العجمي : أبو اليزيد أبو زيد: العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة (أبو حنيفة–مالك–الشافعي–أحمد)– الموقف والمنهاج– دار السلام –مصر – الطبعة الثانية –1429هـ/2008م.

4- المختار: عبد الرحمن أحمد: الحياة الاجتماعية للعلماء بين (50 هـ. – 150 هـ.) من خلال كتابي سير سير أعلام النبلاء للذهبي (ت748 هـ.) والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ت597 هـ.) . ماجستير – جامعة صنعاء– 1999م.

5- دائرة المعارف الإسلامية –مصر –طبعة دار الشعب.

6- المعجم الوسيط – دار الدعوة – تحقيق مجمع اللغة العربية.